مجلة التربوي

مجلة علمية محكمة تصدر عن

كلية التربية الخمس

جامعة المرقب

العدد التاسع

يوليو 2016م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

د/ صالح حسين الأخضر

أعضاء هيئة التحرير

د . ميلود عمار النفر

د . عبد الله محمد الجعكي

د . مفتاح محمد الشكري

د . خالد محمد التركي

استشارات فنية وتصميم الغلاف: أ. حسين ميلاد أبو شعالة

المجلة ترحب بما يرد عليها من أبحاث وعلى استعداد لنشرها بعد التحكيم .
المجلة تحترم كل الاحترام آراء المحكمين وتعمل بمقتضاها .
كافة الآراء والأفكار المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل المجلة تبعاتها .
يتحمل الباحث مسؤولية الأمانة العلمية وهو المسؤول عما ينشر له .
البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر .
حقوق الطبع محفوظة للكلية .

بحوث العدد

- دلالة الكناية في سورة البقرة .
- الدلالة في كتب الأخطاء الشائعة "العربية الصحيحة لأحمد مختار عمر" أنموذجا).
- اضطرابات النطق لدى عينة من تلاميذ الحلقة الأولى لمرحلة التعليم الأساسي بمدينة مصراته.
- دور الإرشاد النفسي المنبثق عن الشريعة الإسلامية في علاج بعض مشكلات الشباب الليبي المعاصر.
- العناصر التيبوغرافية ودورها في الإخراج الصحفي.
- تقييم بعض مدخلات مؤسسات رياض الأطفال بمدينة مصراتة في ضوء معايير الجودة.
- دراسة الأخطار الجيومورفولجية بمنطقة حوض وادي غاوغاو باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد.
- مفهوم صورة الجسد وعلاقتها بالاستعداد للعصابية لدى طلبة المرحلة الثانوية.
- الصور البيانية في الأمثال النبوية "نماذج مختارة".
- تأثير التلوث الناتج عن صناعة الإسمنت على الأس الهيدروجيني للتربة ومدى تأثيره على نمو النبات "الفول" Vica Faba L.
- المتاشبه اللغوي عند القراء والمفسرين "تأليفا وتطبيقا" .
- رسالة في مباحث البسملة لأحمد بن زين دحلان "ت1304هـ".
- نظرية العبقرية عند كانط.
- ماهية النص الأدبي خطاب إلى متذوقي الأدب.
- كفايات التعليم الإلكتروني ومدى توفرها لدى هيئة التدريس بكلية التربية جامعة المرقب
- استعمال كاف التشبيه حرفا واسما.
- المؤرخ نقولا زيادة وليبيا "دراسة في المعاصرة التاريخية حياة وتأليفا".
- فاعلية المرأة الطوارقية في الرواية الليبية " إبراهيم الكوني أنموذجا".

- ضوابط بيع التقسيط في الشريعة الإسلامية
- أثر دراسة الفقه المقارن في تضييق شقة الخلاف بين المذاهب الفقهية .
- Morphology and composition of $CulnSe_2$ that film deposited by Stacked Elemental Layers for solar cells application
- A novel Piggyback Scheme to Improve the Performance Of MAC Layer Based on IEEE802.11n
- Problems of English prepositions in EFL learners' translation
- L’argent peut-il effacer les valeurs morales ? Le Père Goriot de .Balzac est un type

الافتتاحية

من سمات المجتمعات المتحضرة سعة ثقافة أبنائها وكثرة قرائها، والكتاب لديهم هو أفضل صديق، يرافقهم أينما كانوا وحيثما ما حلوا، فكما أن الطعام غذاء أبدانهم فإن القراءة غذاء أرواحهم، ولا عجب أن للقراءة أهمية عظيمة في الإسلام فهو يدعو إلى التدبر والتفكير والقراءة والتعلم، يكفي أن أول آية نزلت على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فكان الأمر بالقراءة فاتحة عقد الاتصال بين السماء والأرض، وللقلم في تثبيت ركائز العلم مكان لذلك خصه المولى عز وجل بالذكر مصاحبا للأمر بالقراءة فـقال ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

ولكن العجب في أمة القرآن، أمة اقرأ أن تكون أمة عازفة عن الكتاب والقلم، تتصدر مجتمعاتها آخر الصفوف، وتبقى القراءة في ذيل اهتمامات أبنائها، فلقد تدنى المستوى الثقافي والمعرفي لديهم إلى أدنى درجة، فالأمم لا تقاس بكثرة المال والأبناء وإنما تقاس بمدى ثقافة أبنائها، ومستواهم المعرفي، وأولى سمات ذلك حبهم للقراءة، والملاحظ والدارس لحال أمتنا في هذا العصر يرى وبكل بوضوح ودون أي مجهود قلة نسبة من يعشقون الكتاب، ومن يقتنونه، وارتفاع نسبة العزوف عن قراءته بل يتجاهلونه.

لقد تسرب إلى قلوب أبنائنا حب المال، ويا ليته من أوجهه السليمة الصحيحة فالثقافة وحب القراءة لا يتعارضان مع النشاط الاقتصادي، بل هما داعمان له ورافدان من روافده، فما علت الأمم الغربية في عصرنا الحاضر وازدهر نموها إلا بالعلم والثقافة، ونحن أمة القرآن أمة الثقافة تأخرنا حتى وصفنا بالتخلف مع أن أسلافنا أخذوا بناصية العلم فسادوا الدنيا بدينهم ولغتهم وثقافهم والشواهد في أواسط آسيا وأدغال أفريقيا باقية إلى الآن خير دليل، فهل لهذه الأمة من صحوة ثقافية ونهضة حضارية تبني بها حاضرها، وتعيد بها مجدها التليد.

هيئة التحرير

د. خالد مهدي صالح
كلية الآداب مسلاتة / جامعة المرقب

توطئة (خصوصية المحتوى وعمومية الشكل)

تنتمي هذه الدراسة إلى ما يعرف بسوسيولوجية الأدب، فهي تكشف عن الجوانب الاجتماعية والسياسية التي تحفل بها النصّوص الروائية، مع محاولة تجنب الأحكام النقدية والفنية والجمالية التي اعتدنا عليها في الكتابات النقدية المعاصرة، فهي ليست دراسة معيارية للحكم على النصّ الروائي، أو صاحبه بقدر ما هي عملية استنباط للجوانب المخفية لهذا النصّ والتي تم تجاهلها كثيراً في أحكامنا النقدية المعاصرة، وهو ما يبرر لنا مثل هذا النوع من الدراسات التي غابت كثيراً عن نقدنا الأدبي المعاصر، ولا سيّما في ظل سيطرة المناهج النقدية الحديثة التي تركز في إجراءاتها النقدية على النصّ فقط. وتستخدم هذه الدراسة مصطلح (الفاعلية) وهي إحدى المصطلحات المستخدمة في الدراسات الإدارية والذي يعني (الكفاءة) أي: كفاءة المرأة الطوارقية في المجتمع الصحراوي دون الدخول في تشعبات هذا المصطلح واستخداماته العديدة في تلك الدراسات.

والرواية نوع أدبي انتزع الاهتمام ونجح خلال مدة وجيزة في الاستئثار في الآداب العالمية، وذلك لا يعود إلى القدرة الهائلة في تطور وسائل السرد، بل إلى القدرات الفائقة في تمثيل المرجعيات الثقافية، والنفسية، والاجتماعية، والتاريخية، وهو أمر فاق قدرة الأنواع الأدبية المعاصرة لها، تلك الأنواع التي انحسر دورها، فكفّت، إلى درجة بعيدة، عن الإسهام في تمثيل التصورات الكبرى عن الذات والآخر[1].

اتّسم النتاج الروائي عموماً ونتاج إبراهيم الكوني خصوصاً بحضور المرأة بشكل مُكثّف، ولا سيّما المرأة الطوارقية مما يدعو إلى القول بإنَّ الرواية عنده تطمح إلى تأسيس رؤية واضحة

[1] ينظر: موسوعة السرد العربي، د. عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2008 م، ج2، ص 5.

واعية، في الوقت نفسه يتسع مداها ليشمل أهم أركان الجانب الاجتماعي متمثلاً في المرأة. فهي عند الكوني تنتمي إلى نسق اجتماعي جعل منها أيقونة في كل التشكيلات الحياتية للمجتمع الطوارقي، لا سيّما في الجانب القبلي الذي يؤسس نمطاً خاصاً من العلاقات الاجتماعية في المجتمع الصحراوي الذي تنتمي إليه المرأة الطوارقية، بوصفه عصب الحياة في رسم مجمل العلاقات الداخلية والخارجية للتكوين الاجتماعي للقبيلة، فالجانب الاجتماعي يحدد معالم حياة الطوارق وطبيعة العلاقات الاجتماعية فيها، والتي تمارس فيها المرأة حضوراً فاعلاً يسعى لتأسيس عالمٍ صحراويٍ جديدٍ، تكون فيه المرأة إحدى معالمه.

وترجع مكانة المرأة الاجتماعية في المجتمع الطوارقي إلى أسباب تاريخية وأسطورية، فإحدى أساطير الطوارق تنصّ على أنها من سلالة امرأة تدعى "تانس"[1] هذا النصّ يوضح لنا أهمية المرأة عند الطوارق وأصالة سلالتها الأسطورية والتاريخية، ويشكل فقدُها معاناةً شخصيةً لكثير من رجالات الطوارق "أنه لم يعرف أما ولا جدة ولا عمة ولا خالة حقيقية حتى (خالته) الزنجية يعرف أنه ليست خالته، ولذلك يحسد الصغار من أبناء الجيران الذين تضج بيوتهم بأصوات النساء وضحكاتهن: أمهات، أخوات، عمات، جدات، بنات خالات، بنات عمات، بنات أعمام ...قريبات..."[2].

ولما كان الطوارق ينتسبون إلى امرأة، لا إلى رجل مثلما هو شائع في النظام البطريكي الأبوي السائد في جميع المجتمعات العربية، لذلك هم يعلون من مكانتها، ويرفعون من شأنها، وتتمتع بالكثير من مظاهر التحرر والاستقلال[3]، لذا يظهر التغاير عليها في الملبس وفي تحديد الزواج للرجل من امرأة غيرها "فالمرأة بخلاف الرجل لا تتحجب، وهي لا تسمح بوجود امرأة أخرى في المنزل، ولهذا فجميع الطوارق لا يتزوجون بأكثر من واحدة، وإذا أحست

---

[1] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 3، 1998م، ص47.

[2] المصدر نفسه، ص47.

[3] ينظر: القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، أحمد محمد محمد الشيلابي، دار مكتبة الشعب – مصراته، ط1، 2003 م، ص 189.

الطوارقية بأن معاملتها قد أسيئت كان في وسعها أن تطلب الطلاق"[1].

ترتكز روايات الكوني على الجانب الاجتماعي بشكل واضح بوصفه إحدى العتبات التي يمكن له من خلالها إظهار دور المرأة وفاعليتها داخل المجتمع الطوارقي[2]، وكلّ ما يتعلق بها من خصوصية اجتماعية وثقافية داخل منظومة العلاقات لهذا المجتمع الذي تتشابك فيه هذه العلاقات إلى درجة يصعب معها فهمها وتشابكها وخروجها عن النّمط السائد في المجتمع القبلي والصحراوي على حدٍ سواء، فالعادات الاجتماعية المتواترة في هذا المجتمع وما تحمله من دلالات، وأنساق، وسياقات وأنماط سلوكية، جعلت من المرأة أنموذجا للمشاركة الفاعلة في أكثر جوانب حياة المجتمع الطوارقي، والمتمثل في الجانب الاجتماعي.

فللمرأة حضور واضح، وبشكل مكثف في كل حيثيات الرواية الكونية حيث يمكن تبيان سياقاته السردية، وأنماطه الاجتماعية الذي تعددت فيه العادات والتقاليد بشكل يخرجه عن نطاق المألوف من المجتمعات الأخرى، فهذا الحضور المجتمعي له سمة مهمة تحاول إبراز تجربة المرأة الطوارقية وفاعليتها في هذا المجتمع دون مواربة أو خجل حتى في أدق المواقف وأكثرها حرجاً[3]، ويتسيد هذا الحضور الطاغي للمرأة في المجتمع الطوارقي، إذ ترتقي به ومن خلاله إلى أمكنة متميزة ربما قد لا يصل إليها الرجل في بعض أدوارها، فضلا عن ذلك فإن جملة العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تتم صياغتها داخل منظومة هذا المجتمع الاجتماعية يحسب فيها للمرأة مكانتها؛ لإدراكهم مدى فاعليتها وتأثيرها فيها، فهي حاضرة بثقلها الاجتماعي داخل هذه المنظومة في المجتمع الطوارقي، هذا الحضور الاجتماعي نجد صداه في نتاج إبراهيم الكوني الروائي، حيث عمد إلى خلق حيز للمرأة في رواياته بقصدية أراد منها بيان فاعليتها في مجتمع ليس تقليديا تتناوشه الأزمات والتقلبات الحياتية المختلفة، فتأثر دور المرأة وفاعليتها الاجتماعية تمّ رسمه بوعي واضح، حيث لم يقم بسلب أي خيط ممكن أن ينتمي إليها سواء أكان

---

[1] الصحراء الكبرى جورج غير ستر، ص296.

[2] ينظر: رباعية الخسوف (البئر – الواحة – أخبار الطوفان الثاني– نداء الوقواق)

[3] ينظر: المرأة العربية والبحث عن الذات : قراءة في نماذج روائية نسوية، غادة محمود خليل، الحوار مع الذات، أوراق المؤتمر العلمي الثامن، جامعة فيلادلفيا،2003، ص591.

إيجاباً أم سلباً، "فالمرأة الطوارقية تشارك بدور فعال في المناسبات والأفراح، فتخالط الرجال، وتغني معهم، وتطلق الزغاريد والأهازيج، وهي تنظم الشعر أكثر من الرجل، وتتمتع بأسلوب خاص في النظم والإنشاد، وطريقة خاصة في التعبير عن ذلك، كما تختص بالعزف على الآلة الموسيقية الوترية المعروف لدى الطوارق باسم (أمزاد)"[1] هذا التشكيل المتنوع الذي يظهر إسهامات المرأة يدعونا إلى القول: إن الشمولية الاجتماعية التي تشغلها المرأة الطوارقية هي محطات مهمة تقف عندها، لترسم من خلالها حركيتها وفاعليتها السلوكية التي تتوخاها في حضورها داخل المجتمع الطوارقي، وهذا ما يؤكده الكوني في رباعية الخسوف، حيث يرسم لنا مشهدا يبرز من خلاله التفاعل المندمج لهذه المرأة مع شخصية الرجل الطوارقي، "تجمعت النساء عند البئر العتيق بمجرد أن أشيع الخبر جلبن معهن الطبول والدفوف وآلات الموسيقى وسرعان ما أقبل الرجال أيضا يتبخترون بعمامتهم الكبيرة، تحلقوا حول النساء في دائرة واسعة أقبل الأطفال أيضا، وقفوا بعيداً في طابور طويل يراقبون طقوس تخلص القمر من أعدائه، وإعادته إلى أهل الأرض، ساحرا، ساطعا، لامعا بالأضواء، واعدا بالأسرار".[2] هذا التشكيل الحياتي الطوارقي استنطقه إبراهيم الكوني، ليفتح إحدى بوابات الولوج إلى المرأة الطوارقية، ويتبنى من خلاله موقفه تجاه المرأة المتمتعة في هذا المجتمع بمكانة اجتماعية عالية، وبقدر من الحرية التي يندر وجود مثلها في المجتمعات العربية الصحراوية، فهي تخالط الرجال وبخاصة في الأسمار والحفلات. وهذه المكانة التي تحظى بها المرأة الطوارقية سمح للفكر الاجتماعي "الاعتقاد بأن مجتمع الطوارق أممي في جوهره"[3]، وهذا الأمر يصدق فقط على الطوارق الذين يعيشون في مجتمع يؤكد هذه الأمومة المجتمعية حيث لا يرث الرجل فيه أباه وإنما يرث خاله، كما أن الرئاسة تنتقل فيه إلى ابن الأخت وليس إلى الابن، وغالى الطوارق في التعلق بها حتى

---

[1] ينظر: المجتمع الليبي، دراسة اجتماعية وانثروبولوجية ، عبد الجليل الطاهر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1969م، ص120.

[2] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، ص9.

[3] دراسات إنثربولوجية في المجتمع الليبي أحمد أبو زيد، دار نشر الثقافة –الإسكندرية، 1963م، ص59.

جعلوا لها عبادة، وهو مبدأ لا نجد له تجليا كما نجده في عالم الطوارق، فالمرأة في ممارستهم اليومية ليست أما، أو أختا، أو معشوقة، وحسب، ولكنها أكثر من ذلك، فنشاطها من البداية إلى النهاية طقس مقدس، ليس نشاطها وحسب، بل إيماؤها وأهواؤها، ونواياها، وكلامها، فهي تغني الأشعار في محافل اجتماعية طقسية؛ إشباعا لحاجات دينية، ونفسية، واجتماعية عميقة، أي: أن غناءها الأشعار هو جزء من وظيفة دينية كانت تمارسها، وهكذا وجدت نفسها عرّافة القبيلة، وشاعرتها في الوقت نفسه، فكان من الطبيعي أن تجد نفسها في يوم آخر كاهنة القبيلة، ومازلنا نجد المرأة في مجتمع الطوارق تذهب "لتهجع على قبور الأسلاف؛ لتستجدي من أضرحتهم النبوءة، ومازالت تستحضر أهل الغيب في الأخبية الملفوفة بالظلمات، ومازالت أيضا تبتدع الحيل السحرية وتتقن مزج الأخلاط الغريبة؛ لتستعين بها في كشف ظلمة الغيب في الليالي التي يستوي فيها القمر بدرا"[1]. وهذا ليس من باب الأسطورة أو الحكاية الخرافية التي يتشكل منها جزء من تاريخ المرأة الطوارقية، ولكنه من باب طموحات تلك القبائل ومعتقداتها واهتماماتها بالمرأة، وهو يُطعم هذا المجتمع على مر السنين والدهور بأخبار قد لا يقبلها العقل الحديث[2] وهكذا تحظى المرأة الطوارقية بخصوصية مضمونية داخل الشكل الفني العام للرواية.

سمات المرأة الطوارقية

يتعدد السياق المعرفي داخل النصّ الروائي للكوني؛ بغية الوقوف على سمات المرأة الطوارقية، إذ يسعى إبراهيم الكوني إلى رسم تشكيلات متعددة يصوغ من خلالها جملة من الأفكار التي تبرز هذه السمات، وهو بذلك يعيد صياغة مكانة المرأة وسماتها في هذا المجتمع "إن القدماء عبدوا في الكائنات المبدأ الأنثوي لاعتقادهم أنه المبدأ الوحيد الذي نستطيع أن نثق بقدرته على إنجاب نفسه من نفسه، فقد ساوى المرأة انطلاقا من هذا المبدأ وألّهوها كما هو الحال

---

[1] بيان في لغة اللاهوت إبراهيم الكوني،الأرباب الأوطان3، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م ،ص46-47.

[2] ينظر: الآداب المقارنة، محمد التونجي، دار الجيل – بيروت، ط 1، 1995 م، ص 69.

عند الطوارق كمجتمع أمومي مازال يضع المرأة في المركز الأول حتى يومنا هذا"[1].

هذا التواتر الأمومي أفرز هذا النــوع من المــرأة بسـماتها المتـنوعة، فهي شاعرة وذكية ورقيقة وطبيبة وعطوفة، هي امرأة الصحراء الواسعة التي تستأنس بها، وتبعث فيها روح الحياة والأمل، فالطوارق يمجدون عظمة الأنثى الطوارقية ويقدسونها؛ لأنها مثلهم الأعلى، فهي التي تقوّم الرجل وتصنع منه فارساً متألقاً، فهو قدر المرأة، وهي نصفه الثاني، فالعذراء الصحراوية هي التي يكمن فيها البهاء والحسن والذكاء، فهي حسناء الصحراء، إن المرأة ضمان لأي حياة في الصحراء، ولو لم تكن لما عبدها أجدادنا وقدّسها آباؤنا، فالمرأة سر حياتهم في الصحراء، وابتهاجهم فيها، فهم يتساءلون هل شجن الحسناء مزيفّ ؟ هل حنين المرأة كذب؟

– ليس في الصحراء أصدق من حنين المرأة، هل تدري لماذا ؟

– لأنها تضع قدميها على الأرض، ومن يضع قدميه على الأرض لا يملك غير الحنين"[2]، ويفتر حضورها حين تسقط منها سمة الحكمة التي أطرت نفسها بها، فتكون منزلتها قاب قوسين من العرافين "يذكر يومها أنه ذهب إلى شيخ متخصص في كتابة الأحجبة وفاز منه بتعويذة حصينة، وانطلق إلى عجوز متصوف وحكيم في أمور الدين والقرآن، اتفق معه على أن يحفظه آية الكرسي، ولم يغادر غات متجها مع المحاربين إلى البيوت إلا بعد أن أثمر تردده على العجوز الوقور بحفظ آية الكرسي مضافاً إليها سورة الفاتحة أيضا، ولكن كل جهوده في البحث عن الصرّة التي أشارت إليها المرأة الحكيمة أفضت بالفشل، حتى اعتقد أن ما أشارت إليها المرأة لم يكن سوى رمز من الرموز التي يتعمد مثل هؤلاء العرّافين أن يلجأوا له، لمداراة عجزهم الذي لم يعصم الله منه أحدا بما في ذلك العلماء وأهل الحكمة، فكر طويلا فيما يمكن أن يشير إليه هذا الرمز من معنى دون أن يتوصل إلى نتيجة"[3].

---

[1] بيان في لغة اللاهوت، إبراهيم الكوني، أوطان الأرباب1، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م ، ص52 –53.

[2] فتنة الزؤان، إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية، مصراته، 1995م، ص64.

[3] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 3، 1998م، ص54.

ويمكن تحديد سمات المرأة الطوارقية في النتاج الروائي للكوني بما يأتي:

1- الإسهام الفاعل في جملة من الاهتمامات الحياتية في تشكيلات مختلفة قد تكون بعضها غير مقبولة وفق نظرات أخرى، لا سيما ما يتعلق بالسحر والتمائم، وغير ذلك من طقوس وعادات المجتمع الصحراوي التي تكون واضحة فيه "بخرتني العجائز بأجناس الأعشاب الجافة، ونثرن في وجهي مياه المراهم الخفية، ولجلجن، فوق رأسي، بتمائم لم يعدن أنفسهّن يدركن لها معنى؛ لأن القبائل توارثتها عن الأسلاف الأولين مخبوءة في مزودة لسان باد فيه المعنى يوم بادت الأجيال التي دسّت فيه المعنى. خارج الخباء توجّع وتر الحنين بلحن الشجي، وهوت أيدي الصبايا على الجلود المشدودة فوق أعقاب الخشبان، فضجت الطبول بأنساق تحفر للأغاني الدروب، ففاض في الجآجئ الوجع، واندفع إلى الدروب أشعار فاجعة"[1].

2- تعد المرأة الطوارقية لسان حال القبيلة التي لها طلاسمها وأسرارها، فقدرتها وتفننها في مهارة التمائم وقولها اللحن والشعر الجميل الشجي يصعب على أية امرأة أخرى ليست في الصحراء عمل مثل هذا العمل، وللمرأة قراءة تنفرد بها أحيانا " خفقان قلب الفتاة في كفّها، وعشقها بين أناملها، كل العجائز تقرأ هذه الأبجدية سواء كتبت على جلود أو قماش أو نسجت في خيوط الصوف، هذه لغة لا تفهمها إلا العجائز الحكيمات"[2].

3- القدرة على التحمل والصبر فهي تمتلك موهبة قوية في جميع فنونها مما حمل الكوني إلى القول "هل يوجد في الصحارى كلها كائن واحد يستطيع أن يفوق المرأة تصبرا، وتمهلا وتريثا، وطول بال؟"[3] الصبر والتمهل والتريث وطول البال صفات يصف بها إبراهيم الكوني المرأة وعيشها في صحراء قاحلة قاسية دليلاً على صبرها وتحملها، فلهذا تلقتها الصحراء بأحضان وأصابها الخسوف حينما فقدتها.

---

[1] سأسرّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة رواية) ، البلبال، إبراهيم الكوني، دار النهار للنشر، ط 3،1999م، ج 2، ص93.

[2] نزيف الحجر، إبراهيم الكوني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 3، 1992م، ص 47.

[3] سأسرّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة رواية) ، برق الخلب، إبراهيم الكوني، دار النهار للنشر، ط 3،1999م، ج 3، ص81.

4- جمالية المرأة الطوارقية تبدو وكأنها تمتلك صفات جسدية أنثوية لا تمتلكها غيرها من النساء الصحراويات "فكل الصبايا الحسان، في العرف الصحراوي، فارعات"[1] تمتلك سحرها الخاص وربما الغامض"سحر اللغة والشعر الخفي، في عينيها جرأة لا تليق بعذراء، وفي الوجه الصبياني المستدير شقاوة وتطاول"[2].

5- مزاولتها لبعض المهن كالتطبيب بالأعشاب فهي" تتقن العلاج بالأعشاب والمراهم الشعبية"[3]، وهذا يرد في رباعية (الخسوف)، إذ يكون لهذا الجانب متسعاً يعزز المساحة التي تظهر فيها فاعلية المرأة "وها هو يقضي الأسبوع الرابع راقداً على بطنه وأمه الزنجية لا تكف عن دهن ظهره المسلوخ بلسعات السوط الشرس، بالزيوت والمراهم والأعشاب البرية، تمارس هذا العمل في نشاط وبيدين مشفقتين، مرتعشتين حنونتين، الأصابع أنفسها واليدان اللتان تعودتا أن تدلقا على رأسه جردل الماء البارد فجر كل يوم، وكلما تذكر آيس لسعات الماء البارد في الصباح حمد الله على المرض الذي أنقده من العذاب وازداد يقينا أن لسعات السوط مهما كانت وحشية هي أهون من لسعات ماء الصباح الباكر المثلج"[4] فهاتان اليدان المرتعشتان تدلكان ظهر المسلوخ إذ يكمن فيهما الكثير من الاستنطاقات التي يحاول الكوني إظهارها وإبراز تجلياتها، فالمرأة عنده نصّ لا ينتهي، وفضاء لا حدود له في هذه الصحراء المقفرة.

6- إنها رمز الحياة، فالكوني يحاول إبراز أهمية المرأة في صحراء يصعب العيش فيها دون المرأة "ماذا ستفعل في الصحراء بدون نساء؟ كيف ستقهر الوحشية ؟ كيف ستقتل الفراغ ؟ النساء مخلوقات سحرية حيوانات صغيرة ابتدعها الله خصيصاً من ضلوعنا كي نتسلىّ بهنّ ونتمتّع بوجودهن، فكيف تطيق حياة صحراوية خالية منهن ؟"[5]ويؤكد الكوني مرة أخرى مكانة المرأة

---

(1) المجوس، إبراهيم الكوني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1992 م، ج 2، ص25.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص25.

(3) الصحراء الكبرى جورج غير ستر: -ترجمة خيري حماد،المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1961م، ص226.

(4) رباعية الخسوف (الواحة)، إبراهيم الكوني، ص 25.

(5) المجوس، إبراهيم الكوني، ج2، ص116- ص117.

بمقابلة مع الصحراء الكبرى التي ينتمي إليها، فلا يريد أن يغادر هذا الانتماء الذي يترسخ فيه عوالم متعددة أهمها المرأة التي تتناوب في الحضور بتعدد وتنوع يُرى من خلاله فاعليتها "هو لن يفعل ذلك طالما بقيت امرأة واحدة تمشي على الأرض بين أيديهم سيتشبث بالحياة طالما هناك واحد في المليون من الأمل. إذ ما معنى الحياة بدون امرأة؟ إنها قاسية، موحشة كالصحراء الكبرى. المرأة هي بلسم الوجود، والدواء الذي يشفي أمراض الروح ويجعل للحياة طعما، الحياة تفقد معناها نهائيا عندما تختفي منها المرأة، تستحق الحياة عندها أن نضع لها حدا من جدارة"[1]هذا المقطع من النص الروائي شبيه بالمنعطف المتوقع فلا يريد من خلاله زحزحة الثوابت أو إظهار البديل أو ربما سحب الصورة المتوقعة للمرأة، إن القسوة والوحشية للصحراء حظيت بتكرار على مستوى الطرح الاجتماعي في روايات الكوني لمقابلة الحياة والموت، وهذا أمر نجد تبريره واضحا من خلال مكانة المرأة الطوارقية في مجتمعها، فضلا عن ذلك أن البيئة الجغرافية وقساوة الحياة فيها وصعوبة العيش فيها تعيش فيها المرأة الطوارقية مدعاة لإظهار مدى تحملها أعباء الحياة. وهكذا تكون سمات المرأة طوق النجاة للرجل في رحلته الحياتية الصعبة في صحراء جافة وحارة جدا تصبح فيها المرأة قطرة الماء التي تنجيه من عطش الصحراء وتداعياتها.

"– همس له موسى:

– رقيقات حقا–صغيرات حقا، ولكنهن قاسيات كالوحوش يقدن الرجل إلى جهنم بسلسلة طولها سبعون ذراعا دون أن يدري. النساء لا يعشقن الدراويش؛ لأنهن لا يستطعن أن يصنعن منهم عبيدا كبقية الرجال البلهاء، بلع ريقه بصعوبة ثم أكمل بصوت راجف، باك:

–إنهن كالأفاعي: ناعمات، في حين أن لدغتهن قاتلة! انفجر بابا في ضحكة عاصفة سقط لثامه المخطط حتى ذقنه ولكنه استمر يضرب صدره بيده المقطوعة ويقهقه بوحشية لا تناسب الحداد. تبادل الشيوخ نظرات دهشة مال عليه أحدهم وهمس في أذنه باستنكار ولكن القاضي لم يتوقف. في النهاية توقف، مسح الدموع بظهر يده الأخرى وقال بمرح:

---

[1] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 3، 1998م ص 108.

– أقسم لكم إنه درويش ظريف. ظريف وحكيم برغم كل شيء!."[1] هنا جمع بين ثنائية السلب والإيجاب، وهي حركة أراد منها خلق متسع من التفريعات عن المرأة، وهي حالة ليست افتراضية؛ إنما تنتمي إلى الواقع الذي لا يتحفظ عليها ولا ينكرها، بل يؤكدها ويمنحها سمة الثبات التي تنتمي إلى مجمل السمات الإنسانية دون مغالطة أو تجاهل، فضلا عن ذلك أن هذه السمات تتفاعل مع حياة الصحراء، فلا يمكن إسقاط سمات الإنسان عن المحيط الذي يعيش فيه، وكل ما ورد من سمات عن المرأة يمكن سحبه مراراً إلى عالم الواقع، فالمرأة والصحراء عالمان يتفقان في كثير من التفاصيل، لذا جعل منهما الكوني وجهان لعملــة واحدة حين أشركهــما في متواليــة تجمع بينهما نحو السحر والسر والكنز والحياة.

فاعلية الحضور الاجتماعي

يسعى الكوني في نصوصه الروائية إلى إظهار ركائز المجتمع الطوارقي الاجتماعية بشكل يدعو للتساؤل، لا سيّما حين تكون المرأة في واجهة الأحداث، بل وحتى في المواقف التي قد لا تخطر في بال ولا تحضر في مخيلة الناظر إلى هذا العالم الصحراوي بكل تجلياته الاجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية والسلوكية، إذ تظهر المرأة رأيها في الرجل، وتعبر عن هذا الرأي بشكلٍ علني وبصيغة تكفل لها الحرية الإيجابية، ولعل مكانة المرأة تظهر لنا بشكل واضح في الجانب الاجتماعي، لا سيّما عندما تكون هي أكثر مظاهر الوجود اليومي ارتباطاً بالآخرين، وأكثرها توثيقاً للبدوي في الوجود الاجتماعي، وارتهانا له في مضيق الحاجات المتغيرة[2].

ويفتح إبراهيم الكوني التشكيل الاجتماعي وفق نظرة واعية، يحاول من خلالها رسم الصورة التي يريد إظهارها، ومن ثم إعادة نتاجها بكيفية تسمح له بتشكيل نمط للمرأة يعكس فاعليتها الاجتماعية القائمة على سمة إيجابية يكررها دائما، إذ يجعل لها الدور الأبرز في توحيد القبائل، وهذا أمر نجد فيه واقعية قائمة دون أية مبالغة والتي يمكن وصفها بواقعية محتملة يمكن

[1] المجوس، إبراهيم الكوني، ج2، ص116– ص117.

[2] ينظر: ملحمة الحدود القصوى :المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء ط 1، 2000م،ص29.

تحققها[1] "لا نزف أحدا غيرك لقد اتفقنا البارحة على أن نزوجك بصبية من قبيلتنا حتى تسهم في توحيد القبائل، ألا تذكر اتفاقنا "[2] هذا التوحيد هو جزء من واقع المجتمع الطوارقي، يعكسه الكوني مبيناً فيه الجانب الاجتماعي لمجتمع الطوارق، فالمصاهرات عامل مهم في ربط الناس بعضهم مع بعض، لاسيّما حينما يكون الدم هو الحاضر والمتفق عليه في تثبيت نسب الأواصر التي تكون مركزا للقوة والثبات القبلي، والزواج عند الطوارق فيه مغايرة في بعض التفصيلات عن الأنساق الاجتماعية الأخرى "الزواج عندهم يتم داخل عشيرة الزوجة، فعلى الزوج أن ينتقل إلى بيت أهل زوجته ليعيش معهم مدة عام كامل على الأقل، إن لم يسكن معهم بصفة دائمة، كما أن المرأة إذا مات زوجها تنتقل للإقامة مع عشيرتها، وتأخذ أولادها معها"[3].

إن للمرأة الطوارقية تأثير في نمط العلاقات الاجتماعية للمجتمع الطوارقي فكثيراً ما كانت آراؤها وأقوالها الشعرية مدعاة لحذر الرجال منها لمعرفة مدى تأثير تقولاتها، إذ تخلق بهذه التقولات صورة اجتماعية قد تغيب فيها صورة الرجل داخل مجتمعه "الشيخ غوما لا يفارق الشاي حتى في حضرة المهرجان الجليل، ألا تخشى يا شيخنا ألسنة النساء وهجاء الصبايا؟ إن الشاعرات منهن ينتهزن مثل هذه المواقف في نظم قصائد الهجاء فاحذر!"[4]، فالمرأة هنا جعلت الملتفين حول الشيخ يحذّرونه من لسانها وشعرها في جميع مواقفه، وهذا ما يؤكد فاعلية المرأة ومكانتها الاجتماعية والسلطوية داخل المجتمع الصحراوي، فهو لا يأتي على أمر إلا وهو متيقن على أن صبايا الصحراء قادرات على تنظيم قصيدة هجاء فيه، جعلت ذلك الرجل الصحراوي يقع في نفسه هاجس الخوف من شعرها.

وفي المقابل يعكس الكوني مهارتها وتفننها الشعري في مدح الرجال النبلاء في هذه الصحراء، وبما قاموا به من انتصارات وأمجاد على الفرنسيين في حربــهم الضروس. وكذلك رثاء أبنائهن الذين ماتوا من الحشرات السامة والعقارب، وأتقنّ قصائد الأهازيج والمدح والموشحات.

---

[1] ينظر: كتابة الذات ، دراسة في واقعية الشعر، حاتم الصكر، دار الشروق، عمّان، 1996م، ص9.

[2] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني ، ص181.

[2] دراسات إنثروبولوجية في المجتمع الليبي أحمد أبو زيد، ص57-58.

[4] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، ص178.

ولمكانتها الاجتماعية وفاعليتها يسعى الرجال الطوارق لكسب رضاها، ونيل إعجابها، حتى إن أحد الباحثين ذهب إلى أن الطوارق كثيراً ما كانوا "يقومون بغزوات فقط من أجل إثارة إعجاب النساء وجلب الحلي واللباس لهن"[1] وبذلك تتضح المكانة المتميزة التي تحظى بها المرأة في مجتمع المتلثمين.

ولا يغفل الكوني مشاركات المرأة الاجتماعية وفاعليتها وحضورها الاجتماعي في جميع المناسبات التي تقام في المجتمع الصحراوي، وهي لا تقل مشاركة وفاعلية عن الرجل حتى في أصعب الظروف والمواقف "جاء الشيخ خليل وتصدر حلقة الرجال بجوار أخنوخن في الخيمة التي نصّبت خصيصاً لتلقي التعازي، في حين تزاحمت النساء في الخيمة الأخرى ولكن الصمت الشامل استمر يوحي بالموت ويخبئ الفجيعة، ويُخفي ألماً مكتوماً على أولئك الذين غابوا ولن يعودوا"[2]، فهي تشارك في التعازي، وتستقبل المعزين في خيمة مجاورة للرجال، وهي تشعر بالألم ومرارة الفراق والحزن على أبنائها الذين غابوا ولن يعودوا، فمكانتها تبدو واضحة حتى في أماكن العزاء، فهي النصف الثاني للمجتمع الصحراوي ونصفه الآخر الرجل حيث تظهر مشاركتها له بشكل واضح عندما "امتدت الجموع حتى اكتظت في ساحة السوق التي فاضت أيضا بالناس من أطفال ورجال ونساء وحتى العجزة وذوو العاهات من العمي والعرج والمقعدون وجدوا حيلة يهتدون بها إلى الطريق، ففاضت ساحة السوق فصدرت جموع البشر إلى الشوارع الصغيرة المؤدية إلى طوابير البيوت الطينية التي تطوق الجبل، تحرك موكب الجنازة نحو المقبرة قبل غروب الشمس"[3]، فالمرأة حاضرة حتى في مواكب الجنائز ورسوم الموتى، فتقوم بالمشاركة معهم في الدفن، فهي لا تختلف عن الرجل في شيء من أمور القبيلة الاجتماعية، وهذا ما يدل على فاعلية المرأة المهمة ودورها في هذه الصحراء المترامية الأطراف.

وتداخلت ثقافة المرأة مع الثقافة الاجتماعية للمجتمع الطوارقي التي تبدو متوارثة إلى حدٍ

---

[1] الطوارق فرسان الصحراء هارتمون لانع: –مجلة الفصول الأربعة، العد9، السنة 3، مارس1980م، ص27.

[2] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، ص165.

[3] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، ص206.

كبير نوعا ما، وكأن الربط المعنوي والمادي يشير إلى وجود فضاء معرفي ينتمي لفكر المرأة التي تحاول إعادة هيكلة القبيلة بعد أن رأت أنها بدأت تتفكك بخروج أبنائها إلى معترك جديد يعرف به الحل الاقتصادي "وسبق للشيخ غوما أن سمع بعض الأبيات الجارحة من قصائد الهجاء التي نظمتها فتيات القبيلة ونزحوا إلى المدن للبحث عن الخبز! وردت في هذه الأبيات– التي لم يستطع أن يحفظ منها شيئا–عبارات قاسية صاغتها فتاة موهوبة تلسع حبيبها الذي أجّل الزواج منها؛ لكي يعود بالمهر ومصاريف العرس من البلاد البعيدة، فطال به المقام هناك، وندرت أخباره حتى انقطعت نهائياً، مما جعل الفتاة تنبري لتجريحه فتعيره بأنه فضل أكل اللحم على الإيفاء بوعده"[1]، فالتملص من المرأة بحجة العامل الاقتصادي حركة فيها مراوغة اجتماعية ونفسية تحاول المرأة من خلالها إظهار قيمتها الجمالية والثقافية في نظر الرجل الذي تركها في الوقت الذي لا تزال هي متمسكة به، أما بخصوص الأبيات الشعرية فهي جزء من فاعليتها الاجتماعية في علاقتها مع الرجل، إذ تظهر من خلالها ثقافتها التي تعكس وجهة نظرها، والتي تنم عن وعي فكري واجتماعي، ونضج في التعامل مع الرجل، وطريقة استقطابه، وإعادته بطريقة فكرية إلى لحمة القبيلة.

فاعلية الحضور السياسي

يستعرض إبراهيم الكوني الحضور السياسي للمرأة في بعض رواياته، إذ يظهرها في صورة مغايرة لما هو معروف عن طبيعة تركيبها الجسمي، فيجعلها نداً للرجل في البسالة والشجاعة في الحرب، وربما يجعلها تفوق الرجل في قوته، فهو ينبه إلى قوتها المتميزة في الصحراء الكبرى، وهو ما تحفل به كثير من نصوصه الروائية" وقد جعلت للنساء سلطة على الرجال الذين لزموا البيوت فتلثموا خجلاً، في حين قاتلت النساء وجئن بالأسرى، أخضعت الملكة تانس بجيشها القوي الجبار الأمصار والأقطار، الشعوب والقبائل، البعيدة والقريبة، تربعت على عرش الإمبراطورية أربعين عاما"[2]، ومن هنا تتضح مكانة المرأة وعظمتها في مقاومة المقاتلين في عالم المتلثمين، فهي جزء من المنظومة السياسية لمجتمع الطوارق السياسي الذي تسعى فيه

---

[1] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، ص47–48.

[2] رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، ص75.

إلى السطوة على المنصب والعرش، فقد جعلت منها هذه الصحراء امرأة جبارة شجاعة تقاتل وتحارب وتأتي بالأسرى مما يتضح لنا بأنّ لها مهارة عالية في القتال، وتحظى بمكانة تجعلها تضع الرجال في الخلف، فهم (لزموا البيوت وتلثموا خجلا) وهذا ما يظهر لنا في قدرة الملكة تانس على التعمير في الأرض والبنيان، مما جعلها مثلا يضرب به في الصحراء، فعندما ماتت أدى موتها إلى موت الصحراء وجفافها وخسوفها بعد أن كانت خضراء مبتهجة يعمها النور من كل أرجائها وبعثت فيها الحياة، فالمرأة هي رمز الحياة في الصحراء ومبعث أملها ورواية عطشها.

وللمرأة رأيها السياسي فيمن يمثل القبيلة وهرمها السلطوي الأعلى، ولها وعيها السياسي في حامي القبيلة وشيخها، وهو وعي ينم عن رجاحة وتنوير عقلي، وهذا مبعثه شعورها السياسي بكونها الحلقة الأقوى تأثيراً في الحضور الحياتي، فحياة الصحراء جعلت من عينها باصرة وناقدة لما حولها، لذلك كانت آراؤها مدعاة للقبول "قالت باتا بعد أن أغدقت على صديقتها بعبارات الإطراء جزاء براعتها في تحضير الشاي ...أنا أرشح آهر، الشيخ آهر المرشح الوحيد للمنصب، ليس لأنه يمت بقرابة بعيدة حاشا الله ! ولكنه يتمتع بعقل، يبدو غشيما لأول وهلة، أنا لا أنفي ذلك ولكنه يخفي في نفسه حكمة لا يمكن أن يخطئها حكيم "[1] فهذا التوجه نحو شخص بعينه فيه فاعلية سياسية بما هو حاصل، ولما هو متوقع في المستقبل، ولقد أرادت هذه المرأة بذلك أن تجعل خطابها يفيض بكثير من التساؤلات التي من الممكن أن نطلقها على ذلك الواقع الصحراوي، فالبحث عن رجل بهذه المواصفات هو بحث عن تأسيس نظام سياسي للقبيلة يمنحها ثباتاً وقوة ومنعة، فضلا عن ذلك فهو يؤسس لنسق ينتمي إلى الأنساق التي تعكس فاعلية المرأة السياسية، ولعل مبعث كل ذلك هو البحث عن حلول تمهد لاستقرار دائم في مجتمع غير مستقر.

فالحياة الصحراوية بكل تجلياتها لا يرسخ فيها مبدأ الاستقرار بكونها تنتمي إلى ثقافة البحث عن عوامل الحياة التي لا تتوفر دائما "لم تعلق تاناد فنهضت تجرجر ثيابها الفضفاضة و تكنس بها العراء لتواصل رحلتها بين الأكواخ محرضة النساء على اختيار آهر مؤكدة أنه الوريث

[1] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، ص397.

الوحيد الذي يصلح للخلافة، فتهامست مع الصديقات وتبادلت وجهات النظر مع الغريبات مقبلة اقتراحها على مختلف الوجوه لترى بنفسها مدى تأثيره على النساء، مكثت يومها في أكواخ الصفة الثالثة في الجهة الجنوبية الغربية لدى عجوز قيل أنها تمت لها بقرابة بعيدة ولم تعد إلى بيتها إلا عقب القيلولة بعد عودة آيس من المدرسة، وفي العشية راقبت جيوش المعزين وهم يتقاطرون على خيمة الشيخ فاختارت صفة الأكواخ الثانية للتباحث مع النسوة في المرشح الذي دفعت به لتولي القبيلة، وقد قامت باتا بهذا الدور؛ لأنها تعرف مدى خطورة النساء في تكوين قرارات الرجال"[1].

تسوق (تاناد)هنا فكرة وجود المرأة خلف الرجل ودعمها له والوقوف إلى جانبه وهي فكرة تكاد تقترب بما هو متعارف عليه في الوعي الجمعي عند الإنسان، فالتاريخ يحدثنا عن اصطفاف المرأة مع الرجل في المشاركة في أمور الحكم وإصدار القرارات المهمة وإن لم تظهر في الواجهة بذلك أرادت "باتا" أن تظهر لنا أمراً مهماً وهو أن أمر الحكم في القبيلة ليس متروكاً للرجال، إذ يبدو أن أنصاف الحلول أو بعضها منتمية إلى آراء الرجال، أما بقية ذلك فهو للنساء، وهذه سمة ليست اعتراضية وليس من الممكن أن تشكل حاجزاً واضحاً.

إن هذا التكوين الذي أشارت إليه (باتا) في قرارات الرجل هو نوع من الممارسة السياسية للمرأة الطوارقية إذا صح لنا قول ذلك لما يحقق مصلحة القبيلة، وبذلك تكتمل كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصورة تشير إلى الحياة الواقعية الفعلية في صحراء واسعة تمثل المجتمع الطوارقي.

كما أن نظرة المرأة السياسية هي نظرة واعية تستطيع أن تقرأ المستقبل بطريقة تتيح لها معرفة الخطوط السلبية التي يمكن أن تظهرها الممارسات السياسية الخاطئة على ساحة القبيلة، وبذلك تكون اختياراتها لرجل القبيلة منتمية لذلك الظهور، والرجل يستمد بطولته من المرأة "ولا يجب أن ننسى أن البطولة هي ما يشد المرأة في الرجل بطلا إلا إرضاء للمرأة، ولا تكون المرأة امرأة إلا طلبا لبطولة الرجل!"[2]، فبطولة الرجل وشجاعته وانتصاراته في جميع الحروب يكون

---

[1] المصدر نفسه، ص397-398.

[2] بر الخيثعور: إبراهيم الكوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م، ص135 .

هدفه الأول إرضاء المرأة ونيل إعجابها وإظهار نفسه أمامها بطلاً شجاعاً، فهي تشاركه في افتخارها بأمجاده وبطولاته، ومشاركتها له في حفلات انتصاراته وإعلاء صوتها بالزغاريد والأهازيج "في الخارج سمع الطبول تقرع، وتناهى إلى سمعه أصوات النساء وهي تحاول أن تنظم في إنشاد لحن سماوي شجي"[1]، ويظهر هذا الشعر المنظم الشجي مكانة المرأة القائمة، فضلا عن إظهار مكانتها داخل القبيلة وشؤونها السياسية واختيارها المرشحين لسيادة القبيلة، فهي عالمة بمن هو الأفضل والأحسن في تسيير أمور القبيلة "تاناد شاعرة موهوبة يعترف الجميع بكفاءاتها الشعرية قدمت لباتا خدمة جليلة عندما ساعدتها سراً في نظم إحدى القصائد الهجائية التي تهاجم غوما وتشنع بأسلوبه في الحياة وفي قيادة شؤون القبيلة، فزارتها باتا الآن؛ لتزف لها البشرى، وتعرف رأيها فيمن يجدر به أن يخلف الشيخ غوما، ويتولى بعده أمور القبيلة"[2]، فللمرأة مهمة عالية في تنظيم أمور القبيلة ومن هو الأجدر بها، تريد آهر المرشح الأول؛ لأنه قريبها وتستعين بصديقاتها من النساء وبخاصة الموهوبات والشاعرات في إتقان الشعر، فاختارت(تاناد) لتصوغ لها نظم الهجاء لتشنع به غرماءها من مجلس الشيوخ، وإبراز رأيها حتى من وراء الستار، وهو ستار الرجل، وستار العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع الطوارقي، وكذلك قدرتها على التعبير عن رأيها من خلال ما تقوله من قصائد هجائية جميلة تنقص من قيمة القائد التي تريد أن تنفي عنه صفة القيادة وتسيير شؤون القبيلة، فتقوم بهذا الدور؛ لأجل أن تصل إلى مبتغاها وهو اختيار شيخ جديد للقبيلة "إن المرأة تستطيع أن تذهب باللّسان إلى حيث تشاء، متى تشاء، وكيف تشاء، المرأة وحدها تستطيع أن تبلغ أبعد أرض، أبعد نيّة، من أقصر طريقة كما تستطيع بنعمة الكلام أن تسافر عكسا، فتنزل أرضا أقرب من حبل الوريد من أبعد طريق؛ لأن المرأة هي عرّافة اللغة وإلهة الكلام "[3].

وتمتلك المرأة الطوارقية ثقافة تنتمي إلى مرجعيات مختلفة، تظهر خلال الحديث اليومي المتعلق بالأمور السياسية للقبيلة، وإن لم يكن رأيها السياسي بتلك القوة والوضوح كما في مجالس

---

[1] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، ص251

[2] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، ص397.

[3] فتنة الزؤان، إبراهيم الكوني، ص19.

الرجال "اقترب من كوخ فرأى مبروكة تنحني فوق التنور، وتلتقط رغيفا ناضجا من داخل التنور دون أن تتوقف عن الحديث إلى جارتها الواقفة فوق رأسها، تهدهد بين يديها طفلا رضيعا ملفوفا في قماط يحرك يديه ورجليه بعناد، محاولا أن يفلت من القيد، قالت مبروكة وهي تختطف الرغيف المظفور بالسعف من بين ألسنة اللهب بحركة خبيرة وتلقي به في الطبق، قيل أيضا أن الشيخ بعد أن صفع الضابط تلك الصفعة المهينة دخل الحي القديم ولاحق الشيخ الجاروف برصاصتين ولكنه لحسن الحظ لم يصبه توقف غوما، وراقب المرأتين المنهمكتين في صياغة الأخبار على طريقتهما، ومكث لحظة وراء شجرة التين حائرا"[1].

إن الاهتمام بهذه الملاحقة هو اهتمام بالمصير العام الذي يمكن أن تؤول إليه الأمور، فتخوم الحياة تظهر عند المرأة بوعي واضح تحاول أن تبحث عن حلول تكمن فيها كل التطلعات والأماني، وبقدر مشروعيتها يكون التفكير فيها، وهذه حالة صحية امتلكتها المرأة الصحراوية، فهي بذلك تحاول إزالة حرارة وغبار الصحراء ببرودة نظرتها، وعنفوان هاجسها، وجمال رغبتها المتطلعة، ويبدو أن الكوني ينظر إلى المرأة بكامل حضورها التفاعلي في المجتمع الصحراوي على أنها قوة حية نامية يخرج منها كل ما يسهم في بناء الحياة[2].

الخاتمة

أسهم في فاعلية المرأة الطوارقية في المجتمع الصحراوي جملة من العوامل كان من أهمها تقدير المجتمع للمرأة بشكل جعل لها مكانة تفوق كثيراً من المجتمعات وهذا ما دفعها أن تكون عنصراً فاعلاً في هذا المجتمع، فضلا عن فطنتها وذكائها ووعيها وإلمامها بجملة من الضرورات الحياتية على جميع الأصعدة، ولعل للبيئة دوراً مهماً في ذلك فهي تقرّب المرأة والرجل من بعضهما بطريقة تخلق من خلالها سمة التكامل الحياتي الذي يجعل الحياة لا تقبل المناصفة بأي شكل من الأشكال، فجمال الصحراء وروعتها لا يخلو من مصاعب وتهديدات وربما دنو الحياة من النهاية، هذه التوليفة لحياة الصحراء تتسابق عند كل العتبات التي تطرح جانباً من فاعلية المرأة الطوارقية.

---

[1] رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، ص279-280.

[2] ينظر: دراسات ومقالات في النقد، منظور فلسفي، د. محمد شبل كومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008 م، ص 191.

المصادر والمراجع

1- الآداب المقارنة، محمد التونجي، دار الجيل – بيروت، ط 1، 1995م.
2- بر الخيثعور: إبراهيم الكوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م.
3- بيان في لغة اللاهوت، إبراهيم الكوني، أوطان الأرباب1، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م.
4- بيان في لغة اللاهوت إبراهيم الكوني، الأرباب الأوطان3، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م
5- دراسات إنثربولوجية في المجتمع الليبي أحمد أبو زيد، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1963م.
6- دراسات ومقالات في النقد، منظور فلسفي، د. محمد شبل كومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008 م.
7- رباعية الخسوف :(البئر) إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 3، 1998م.
8- رباعية الخسوف :(الواحة) إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 3، 1998م.
9- سأسرّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة رواية) ، البلبال، إبراهيم الكوني، دار النهار للنشر، ط 1999،3م.
10- سأسرّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة رواية) ، برق الخلب، إبراهيم الكوني، دار النهار للنشر، ط 1999،3م.
11- الصحراء الكبرى جورج غير ستر: ترجمة خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1961م.
12- فتنة الزؤان، إبراهيم الكوني، الدار الجماهيرية، مصراته، 1995م.
13- القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، أحمد محمد الشيلابي، دار مكتبة الشعب – مصراته، ط1، 2003 م.
14- كتابة الذات، دراسة في واقعية الشعر، حاتم الصكر، دار الشروق، عمّان، 1996م.

15- المجتمع الليبي، دراسة اجتماعية وإنثروبولوجية، عبد الجليل الطاهر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1969م.

16- المجوس، إبراهيم الكوني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1992 م.

17- المرأة العربية والبحث عن الذات : قراءة في نماذج روائية نسوية، غادة محمود خليل، الحوار مع الذات، أوراق المؤتمر العلمي الثامن، جامعة فيلادلفيا،2003.

18- ملحمة الحدود القصوى :المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء ط 1، 2000م.

19- موسوعة السرد العربي، د. عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، 2008 م.

20- نزيف الحجر، إبراهيم الكوني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 3، 1992م.

الدوريات

21- الطوارق فرسان الصحراء هارتمون لانع: –مجلة الفصول الأربعة، العد9، السنة 3 – مارس1980م.

الفهرس

ر.ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	الافتتاحيـــــــــــــــة		5
2	دلالة الكناية في سورة البقرة	أ. سليم الصديق	6
3	الدلالة في كتب الأخطاء الشائعة "العربية الصحيحة لأحمد مختار عمر" أنموذجا	د. صالح أحمد صافار	31
4	اضطرابات النطق لدى عينة من تلاميذ الحلقة الأولى لمرحلة التعليم الأساسي بمدينة مصراته	د. حسن سالم الشهوبـــي أ. محمد صالح بن صـــلاح	58
5	دور الإرشاد النفسي المنبثق عن الشريعة الإسلامية في علاج بعض مشكلات الشباب الليبي المعاصر	أ/إبراهيم خليفة المركز	73
6	العناصر التيبوغرافية ودورها في الإخراج الصحفي	د/عمران الهاشمي المجدوب	98
7	تقييم بعض مدخلات مؤسسات رياض الأطفال بمدينة مصراتة في ضوء معايير الجودة	د. علي إمحمد الحشاني	128
8	دراسة الأخطار الجيومورفولجية بمنطقة حوض وادي غاوغاو باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد	د/ رجب فرج سالم اقنيبر	151
9	مفهوم صورة الجسد وعلاقتها بالاستعداد للعصابية لدى طلبة المرحلة الثانوية	د. صالح المهدي الحويج	182
10	الصور البيانية في الأمثال النبوية "نماذج مختارة"	د . مصطفى رجب الخمري	191
11	تأثير التلوث الناتج عن صناعة الإسمنت على الأس الهيدروجيني للتربة ومدى تأثيره على نمو النبات "الفول" Vica Faba L	د/نوري سالم محمد النعاس د/عطية رمضان الكيلاني	217
12	المتاشبه اللغوي عند القراء والمفسرين "تأليفا وتطبيقا"	أ/ يونس يوسف أبو ناجي	232
13	رسالة في مباحث البسملة لأحمد بن زين دحلان "ت1304هـ"	د/ عمر علي سليمان الباروني	258
14	نظرية العبقرية عند كانط	د/ نور الدين سالم ارحومة قريبع	286
15	ماهية النص الأدبي خطاب إلى متذوقي الأدب	د/عادل بشير الصاري	305

ر.ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
16	كفايات التعليم الإلكتروني ومدى توفرها لدى هيئة التدريس بكلية التربية جامعة المرقب	د/ خالد محمد التركي	323
17	استعمال كاف التشبيه حرفا واسما	أ / امباركة مفتاح التومي	352
18	المؤرخ نقولا زيادة وليبيا "دراسة في المعاصرة التاريخية حياة وتأليفا"	د/عمرو رمضان حمودة	369
19	فاعلية المرأة الطوارقية في الرواية الليبية " إبراهيم الكوني أنموذجا"	د. خالد مهدي صالح	396
20	ضوابط بيع التقسيط في الشريعة الإسلامية	د/ الصادق المبروك الصادق	415
21	أثر دراسة الفقه المقارن في تضييق شقة الخلاف بين المذاهب الفقهية	د/ محمد إبراهيم الكشر	442
22	Morphology and composition of $CuInSe_2$ that film deposited by Stacked Elemental Layers for solar cells application	M. Alshuaib[a], G. E. A. Muftah[a] and E. M. Ashmila [b]	462
23	A novel Piggyback Scheme to Improve the Performance Of MAC Layer Based on IEEE802.11n	Dr. Ali Ahmad Milad Dr. Saad Mohamed Lafi	476
24	Problems of English prepositions in EFL learners' translation quality	Ahmed Haggar Sakin Ahmed	487
25	L’argent peut-il effacer les valeurs morales ? Le Père Goriot de Balzac est un type.	Al Bagdadi Zidane	501
26	الفهرس		516

يشترط في البحوث العلمية المقدمة للنشر أن يراعى فيها ما يأتي :

- أصول البحث العلمي وقواعده .
- ألا تكون المادة العلمية قد سبق نشرها أو كانت جزءا من رسالة علمية .
- يرفق بالبحث المكتوب باللغة العربية بملخص باللغة الإنجليزية ، والبحث المكتوب بلغة أجنبية مرخصا باللغة العربية .
- يرفق بالبحث تزكية لغوية وفق أنموذج معد .
- تعدل البحوث المقبولة وتصحح وفق ما يراه المحكمون .
- التزام الباحث بالضوابط التي وضعتها المجلة من عدد الصفحات ، ونوع الخط ورقمه ، والفترات الزمنية الممنوحة للعديل ، وما يستجد من ضوابط تضعها المجلة مستقبلا .

تنبيهات :

- للمجلة الحق في تعديل البحث أو طلب تعديله أو رفضه .
- يخضع البحث في النشر لأوليات المجلة وسياستها .
- البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، ولا تعبر عن وجهة نظر المجلة .

Information for authors

1- Authors of the articles being accepted are required to respect the regulations and the rules of the scientific research.

2- The research articles or manuscripts should be original, and have not been published previously. Materials that are currently being considered by another journal, or is a part of scientific dissertation are requested not to be submitted.

3- The research article written in Arabic should be accompanied by a summary written in English.

And the research article written in English should also be accompanied by a summary written in Arabic.

4- The research articles should be approved by a linguistic reviewer.

5- All research articles in the journal undergo rigorous peer review based on initial editor screening.

6- All authors are requested to follow the regulations of publication in the template paper prepared by the editorial board of the journal.

Attention

1- The editor reserves the right to make any necessary changes in the papers, or request the author to do so, or reject the paper submitted.

2- The accepted research articles undergo to the policy of the editorial board regarding the priority of publication.

3- The published articles represent only the authors viewpoints.